

الاثار الاجتماعية لهجرة القبائل الهلالية

المدرس المساعد : سري مئي جاسم

sulhnra9@uomustansiriyah.edu.iq

كان للهجرة العربية دوراً متميزاً واساسياً في كل نواحي حياة المغرب الاسلامي ودخولهم الى هذه المنطقة يعد حدثاً تاريخياً غير وجه المغرب سياسياً وعسكرياً واقتصادياً واجتماعياً يذكر ابن خلدون أن المغلوب دائما مولع بالغالب في شعاره وزيه وسائر احواله وعوائده لذلك المغلوب دائما يتشبه بالغالب في لبسه ومركبه وسلاحه في اتخاذها وأشكالها بل في سائر احواله وهذا الرأي ينطبق على القبائل العربية التي جاءت محملة بعادات رعوية مما سمح لها بالانتشار والتوسع بحثا عن الكلاً والمراعي فحولت الأراضي التي كانت مخصصة لزراعة الحبوب والخضر الى اراضي سكنوا فيها لذلك ادخلوا الى البربر اسلوب حياة لم يألفوه في ضوء الخيمة التي ماكانت معروفة لديهم وقد كانوا يسكنون بالمداشر وكهوف الجبال واستمر حالهم على هذا الوضع حتى مجئ القبائل العربية في اواسط المائة الخامسة الهجرية الى افريقية واستوطنوا فيها بحللهم وخيامهم وكانت المرأة العربية هي التي تقيم في الخيام حسب مقتضيات الحياة البدوية وهذه الخيام لها نسق اقتبسته بعض القبائل المغربية من الهلاليين كما اقتبست قبائل الطوارق خيم القشع المصنوعة من الجلد اليابس منهم .

وتتمثل التأثيرات الهلالية في المجتمع المغربي هي خروج النساء مع الرجال للحرب بغية تشجيعهم فتأثر المغاربة بهذا الامر ولا زالت معروفة لوقتنا الحالي في الاحتفالات التي تقام في جنوب الجزائر ويكون فيها تمثيل للمعارك الحربية إذ يحارب الرجال بعضهم بعضا وهم فوق خيولهم في حين تظل النساء معتكفات فوق الجمال كما كان لاجادة العرب في قول الشعر الذي عرف عنهم والذي حملوه معهم الى ارض المغرب وكان من الطبيعي أن يقتبسه منهم اهل افريقية ووظفوه في الغناء والانشاد ويعرف عن البربر أنهم اذا الفوا قصيدة من اي نوع فأنهم يترفعون عن نسبتها اليهم بل اكثر من ذلك لا ينشدونها بأنفسهم وتركوا ذلك لعبيدهم ممن يمتلكون الحناجر الشجية في الاعراس والافراح ويصاحب ذلك عزفا على الطبول عن طريق العرب انتشرت في المغرب الاغاني التي خرج منها الشعر الملحون وكذلك ما يعرف برقصة الزقارة والطبول الكبيرة .

اما من جانب الملابس فالهلاليين كان لبسهم المخيط ويلف وسطهم ازار ويضعون على ظهورهم رداء ويعتمرون العمام على رؤوسهم بينما لبس اهل المغرب جبة من صوف وتحتها قميص وسروال ويربط وسطه بحزام ويعتمرون كذلك العمام التي تعرف عندهم بأسم لفافة التي تغطيها قطعة قماش تسمى الدوخلة وبقي ملبس القبائل العربية بهذا الشكل ولم يقتبسوا من المغاربة سوى البرنس .

وفيما يخص ملابس النساء فالعربية تلبس القميص الاسود بكمين عريضة وفوقه خمار من نفس لونه او في بعض الاحيان ازرق ويغطي وجوههن النقاب به ثقوب من عند العيون وتزين آذانهن اقراط من فضة وفي ارجلهن خلاخيل عليها نقوش وهي من عادات اهل البربر ولبست المغربية الرداء المصنوع من القطن وعليه جبة تشدها بمئزر وحليها تكون اساور مرصعة وفي ارجلها خلاخيل منقوشة وتضع على وجهها خمار وهو من تأثير المرأة الهلالية .

وكذلك من العادات التي تميزت بها المرأة المغربية انها اذا ارادت أن تذهب الى زوجها تضع الخضاب على وجهها وصدرها وكذلك على ذراعها وكفها الى نهاية الاصابع ، وكانت هذه الطريقة في وضع الخضاب معروفة في الريف المغربي ولم تستخدمها نساء المدن وقد انتقلت الى النساء العربيات بعد قدومهن الى المغرب وهي غير مألوفة لديهن سابقا .

اما عن الطعام فمن ضمن ما عرفه العرب عن طريق اهل المغرب اكلة (الكسكسي) وهو طعام اهل البربر كون القبائل العربية كان جل طعامهم الثريد والبسيس والعصيد فضلاً عن التمر والحليب . وعليه فقد احدثت القبائل العربية بهجرتها الى المغرب أثرا واضحا في التركيبة السكانية لهذا الاقليم بأقسامه المختلفة الأدنى والوسط والاقصى وذلك يرجع الى كثافة اعدادهم ونتيجة لذلك لم يتركوا شبرا من أرضه ألا وتمددوا عليها وبالتالي تخالطوا مع قبائله في المدن والقرى فتمازجت الدماء العربية مع البربرية فخرج منها اجيال عرفت بالقوة والعزيمة الشديدة ويبدو ان الذي سهل هذا الامر أن كلاهما يتشابهان ونقصد بذلك العرب والبربر في الصفات الخلقية مثل الشجاعة وعزة النفس وكذلك بطريقة العيش التي تتخذ من مهنة الرعي أساسا لها وصفوة القول أن انتشار هذه القبائل العربية بالمغرب وتعدد مواطن استقرارها في جميع انحاء البلاد ادى الى امتزاجها بقبائل البربر الامر الذي ادى الى تنوع في حياتها الاجتماعية وتطور مفاهيم القبيلة العربية في المغرب فيما يختص بالزواج والحلف والجوار والشعر والغناء والزي ومسكنهم وطعامهم وتأثر القبائل الهلالية بعادات وتقاليد البربر بعد أن نقلوا الى المجتمع المغربي الكثير من عاداتهم وتقاليدهم وظلت باقية الى الان .